

نماذج قرآنية للتربية



«يوجّه القرآن الكريم أنظار الآباء والمربين إلى مبادئ تربية سامية عليهم الحرص عليها خلال تربية أبنائهم، ويتجلى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم منها وصايا لقمان الحكيم لإبنه، ذلك لأن لقمان قد أوتي الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِن رَّسَمًا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَاصْبِرْ لِنَازِلِ الْإِنْسَانِ بِرِوَادَيْهِ حَمَلَاتُهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَا وَهَنٌ وَفِصَالُهُ فِي عَمَامِينَ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّنِي أَنزَلْتُكِ فِي تَكْوِينٍ مِّثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتٍ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأُمِّرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّسَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْخَمِيرِ (لقمان/ 12-19). وهذه الوصايا التربوية تتضمن مجموعة من القيم التي يحرس الإسلام على تنشئة الناس عليها وفي مقدمتها النهي عن الشرك، وتحقيق التوحيد المطلق □ سبحانه، والتنبيه إلى أن □ يعلم السر وما يخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والتوجيه بضرورة رعاية الآباء والأُمّهات في كل ما يرضي □ وعدم إطاغتهما إذا كانت تعليماتهما تتعارض مع الدين، مع ضرورة مراعاة الأدب معهما في كل الأحوال. كذلك تضمنت الوصية ضرورة إقامة الصلاة لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، كما إحتوت على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراعاة الإلتزام بالصبر على المكاره (إِنْ زَمَّكَ يُوفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر/ 10)، وتنهي هذه الموعظة التربوية عن الكبرياء في معاملة الناس وعن الخيلاء، وضرورة الإلتزام بالتواضع ومن تواضع □ رفعه. وتشير كذلك إلى مجموعة من الآداب المهمة منها الإعتدال في الخطب وضرورة خفض الصوت عند الحديث وعدم التشبه بالحيوانات... إلخ.

وقد أثنى القرآن الكريم على أهل الكهف لأنهم صمدوا في مواجهة الظلم وثبتوا على العقيدة في مواجهة الكفر يقول تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِآلِ حَقٍّ

إِنْ زَمَّهُمْ فِتْنَةً أَمَذُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدُوا نَاهُهُمْ هُدًى) (الكهف/ 13). وفي سورة يوسف يضرب □ لنا مثلاً بالشاب الصالح العفيف الذي يراعي □ ويراقبه في السر والعلن، ويتمسك بدينه في مواجهة إغراءات الدنيا، فقد تعرض لفتنة جمال امرأة العزيز وحسبها ونسبها، ولكنه أبى واعتصم بعقيدته (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّ زَنَّهُ رَبِّي أَعْصَى مِثْوَايَ إِنَّ زَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّ زَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْأُمُحِلِّينَ) (يوسف/ 23-24).

وتشير هذه الآية إلى مجموعة من الحقائق والقيم، منها ضرورة الصمود في مواجهة المغريات، وأن هذه المغريات قد تكون إختباراً من □ سبحانه، ويجب على الإنسان مراقبة □ في السر والعلن، وأن □ يساعد المؤمنين الذين يراقبونه على الاستمرار في الفضائل وتجنب الرذائل. ويوضح لنا الخالق سبحانه في سورة النور مجموعة من الآداب والقيم الإجتماعية التربوية التي يجب غرسها في نفوس النشء وتدريبهم سلوكياً عليها، مثال هذا إستئذان الصغار عند دخولهم على الكبار خلال وقت الراحة والخولة (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْ ذِكْمِ الْحُلُمِ فَلَا يَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (النور/ 59)،
 وذلك حتى لا يطلع الأبناء على علاقات آبائهم الخاصة فتترك أثراً سيئاً في نفوسهم،
 وينشغلون بها قبل الأوان. ويوضح لنا القرآن الكريم في سورة الفرقان خصائص عباد الرحمن
 التي يجب غرسها في النشء من خلال العملية التربوية قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ
 الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
 سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
 غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَزْفَقُوا
 لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا
 يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا *
 يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) (الفرقان/
 63-69)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
 مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا
 عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
 أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُتَّقِينَ
 إِمَامًا) (الفرقان/ 72-79). ويروي لنا القرآن الكريم قصة نوح (ع) مع ابنه (يَسَا
 بُذْيَ) ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (هود/ 42). ولكن الابن أصر على
 العناد، فلم ييأس نوح وتوجه إلى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العطوف اللاهف قائلاً:
 (رَبِّ إِنِّي ابْنُ ذِي عِلْمٍ وَأَنَا لَكَ الْخَاقِصُ وَأَنْزَلْتُ أَكْثَمُ
 الْكَافِرِينَ) (هود/ 45). وهذا سيدنا إبراهيم يدعو ربه (وَاجْزِئْنِي وَبَنِيَّ أَنْ
 نَعْبُدَكَ الْأَصْنَامَ) (إبراهيم/ 35). *أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر المصدر: كتاب
 (البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي)